الدمشقي

السيرة المحمدية

1866 – 1914

شذرة من السيرة المحمدية

(تاليف)

الشيخ جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم

(ابن صالح القاسمي الدمشقي)

الطبعة الاولى

(بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر)

سنة ١٣٢١ هجرية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي فتحَ أبوابَ الرحمةِ بايجاد خاتِم النبيين ، وشرحَ بنورِ مولدِهِ صدورَ عبادِهِ المخلصين ، وبعثهُ على حين فترة من الرسُلْ ،ليهدِي الى أقوَمِ الطرُقِ وأوضَحِ السبُلِ ، وأرسلهُ الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وداعيا اليه باذنه وسراجا منيرا ، فصلىَّ اللهُ عليه وعلى آله الذين بذلوا فى اتِّباعه جهُدَهُمْ واجتهادَهُم ، واصحابه الذين صرفوا فى تبليغ هدَيِهِ أعمارَهم، اما بعد فهذه شذْرَةٌ من السيرَة المحمدية، وقِلادةٌ من الحياة النبوية، جمعتَ مايجدُرُ بالعامةِ معرفته ، اذ تعظُمُ لديهم منفعتهُ ، سِيما فى محافلهم المعروفه ، ومجامِعِهم المألوفه ، فانَّ أحق

ما يُتلَى فى المجامع ، على المسامع ، ما اهتـدَت به الافئـدة ، وعظُمَت فيـه الفائده ، وقَوَّى شُعَبَ الايمـان ، ووثَّقَ عُرَى الايقان ، ألا وهو الهَدْيُ النبوي ، والصراطُ السوِي ، الذي شرَعَ طُرُقَ الخيرات ، وقادَ الى غاية السعادات ، وقوّم كلَّ معاند ، وهدَى كلَّ ضال ، ورفعَ كلَّ لَبْس ، وافادَ كلَ لبيب ، ونشر كلّ علم ، كيف لا وقد فتحَ أعيُنا عُميا ، وآذانا صُمًّا ، وقلوبا غُلفا ، فما أحوجَ الناسَ الى الاهتـداء بهُداه ، والاقتباسِ مِن ضوءِ سَناه ، فبابُ الخير مفتوح ، وداعى الرشادِ مُلحٌّ ، وخاطر العزمِ معتَرِض ، والوصايا الربانية قائِمه ، فما ذا ينتظر المرءُ بِنفسهِ بعد هذه الآياتِ المتلوّه ، والاعلامِ المنصوبه ، والاعمار القصيره ،

والآمالِ الكاذبه، امايتعظُ ؟أمايعلمُ انه مدفوعٌ الى لقاءِ ربّه، ومجزيٌّ على اكتسابه وكسبه، ان خيرا فخيرٌ، وان شرا فشرٌّ، بلى يعلمُ ولكن علماً مَدْخُولا، ويعقِلُ ولكِنْ عقلا كليلا، ويحسُّ ولكن حسّاً ضعيفا، فطُوبَى لمن ايقظَ نفسه، وهبّ من رَقْدَتِه، ومَشَى على سبيل النبيّ صلى الله عليه وسلم وسنته، وانتهَجَ منهجَ هديه فى سِيرَته، فتأهّلَ للفلاحِ والسعاده، وفازَ بالحسنى وزياده، ومن اللهِ العونُ، وبه التوفيق،

﴿ شَرَفَ العنُصرِ النبوي ﴾

روى الامامُ مسلمٌ عن وَاثِلَةَ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انّ اللهَ اصطفى كنانةَ من

ولدِ اسمعيل واصطفى قُرَيْشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشمٍ واصطفاني من بني هاشم،» وروى البيهقيُّ عن أَنَسٍ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماافترقَ الناسُ فِرقتينِ الا جعلني الله في خيرهما حتى انتهيتُ الى أبي وأمي فانا خيرُكم نسباً وخيرُكم أباً، وروى ابنُ سعد عن الضحاك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا دعوةَ أبي ابراهيم قال وهو يرفعُ القواعِدَ من البيت «ربنَّا وابعَثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهُمُ الكتابَ والحكمةَ ويزَكيهم انك أنت العزيز الحكيم»

(مارُويَ في المولدِ النبوي)

اخرج الامامُ أحمدُ عن العِرباض ان رسول

اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ اني عبدُ اللهِ وخاتمُ
النبيين وان آدمَ لمنجدِلٌ في طينته وسأخبركم عن
ذلك انا دعوة أبي ابراهيمَ وبشارةُ عيسى ، ورؤيا
أمي التي رأتْ حينَ وضعتني وقد خرج لها نور
اضاءَ لها منه قصورُ الشام، «وروى الامامُ مسلمٌ
عن أبي قتادةَ الانصاري قال سُئِلَ رسولُ الله
صلى الله عليه وسلمَ عن صومِ يومِ الاثنين ، قال
«ذاكَ يومٌ وُلِدتُ فيه ويومٌ بُعِثتُ فيه ويومٌ أُنزِلَ
عليّ فيه ، وروى الحافظُ عليُّ ابن عساكِرَ الدمشقي
عن ابن عباس قال :لمَا وُلِدَ النبيُّ صلى الله عليه
وسلم عقَّ (١) عنه عبدُ المطلب بكبشٍ وسماهُ محمداً

---

(١) اى ذبح عنه العقيقة وهي الشاة التي تذبح عن المولود
يوم سابعه

فقيل له يا أبا الحارث ما حملك على أنْ تسميَه محمداً ولم تسمّه باسم آبائه؟ قال أردتُ ان يحمدَه اللهُ في السماءِ ويحمدَه الناسُ في الارض، وروى ابن اسحقَ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لمَّا وضعتْهُ أُمه أرسلتْ الى جدِّه عبدِ المطلب أنْ قد وُلِدَ لكَ غلامٌ فَأْتِهِ فانظرْ اليه، فأتاهُ ونظر اليه، وحدثَتْه بما رأت حين حملَتْ به، وما قيلَ لها فيه، وما أُمِرَتْ أن تسمِّيَه فقيلَ انّ عبد المطلب أخذه فدخلَ به جوفَ الكعبةِ، وقامَ يدعو ويَشكُرُ مولاه بما أولاه،

(مُجْمَلُ النشأةِ المحمدية وبَدْءُ البِعثَة)

روى الثقاتُ ان النبيّ صلى الله عليه وسلم

تُوَفِي أبوهُ وهوَ حَمْلٌ وماتَتْ عنهُ أُمُّهُ بالمدينة وهو ابنُ ست سنين ، فاحتضنه جَدُّهُ عبدُ المطلب ثم كَفَلَهُ من بعدِه عمُّـهُ أبو طالِبٍ وكانَ موفورَ البركة علي كل كافلٍ له، ونشأ فى قريش على أحسن هَدْيٍ وطريقه ،وأشرَفِ سجيةٍ وخليقَه ،وأصدَقِ لسانٍ ولهجه ، وما زالَ يتكاملُ بدناً وعقلاً ، وأدباً ونُبلاً ، حتى عُرِفَ بينَ أهلِ مكةَ وهُوَ فى رَيعانِ شبابه بالامين

ولما اشتهر بالامانةِ وصِدْقِ اللهجَةِ ، أبضعَتْهُ خديجةُ مالاً يتَّجِرُ به الى الشام مضاربا(١) وكانت ذات شرفٍ ويسَار ، ولها متاجِرَاتٌ ومُضارَبَاتٌ وانفذَتْ معهُ مولاها ميْسرَةَ ليخدمَهُ في طريقه ،

---

(١) اي له سهم معلوم من الربح من المضاربة

فشاهَدَ كرامـةَ اللهِ له في إظلالهِ من حرِّ الشمس بالغمام ، ونوّه له راهبٌ مرّوا عليـهِ بنبوّته عليـه الصلاة والسلام ولما قدِمَ ميسرةُ على خديجةَ وقصَّ عليها ما شاهده من إظلالِ الغمام، وما حدَّثَ به الراهبُ من نبوته عليه الصلاةُ والسلام، وما تضاعفَ من ربحِ تجارتها تنبهتْ الى عِظَم شأنه، وشواهد برهانه، فرغبَت في نكاحه ، وكان خَطَبَها أشرافُ قريش فامتنعت فاجابها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وولَدَتْ له ، وقامَتْ بأمرِه حتى كفتـه أمورَ دُنياه وكان ذلك عوناً له من الله تعالى ولطفا واسعافا ، ولما دنا مَبعَثُه رسولا الى العالمين حُبِّبَ اليـه الخلاء فكان يتخلى في غارِ بحراءَ (١) اللياليَ ذواتِ العدَد ، ثم

---

(١) حراء ككتاب وكعلى ويؤنث ويمنع جبل بمكة قاموس

يَرجِعُ الى خديجة ويتزوّد لمثلها الى ان اظهرَ اللهُ تعالى له اماراتِ نبوّتهِ ، فبُدئَ من الوحي بالرؤيا الصادقة ، ثم هبط عليه جبريلُ بوحي رَبِّه فرأى شخصهُ وَسمعَ مناجاته ، واخبرَهُ أنه نَبِيُّ اللهِ ورسولهُ ثم تنزّلَ عليه بالانذارِ فصارَ به رسولا ، ونزلَ عليه القرآن بالامرِ والنهي فصارَ به مبعوثا ، فتمّتْ نبوّتهُ بالوحي والانذار ، وكان ذلك يومَ الاثنين من شهرِ رمضان لثمانيَ عشرةَ منه أو لاربع وعشرين ، وكان عمرُه صلى الله عليه وسلم أربعين ،

﴿ بيانُ افتقارِ الناسِ الى الرسالةِ المحمدية ﴾

كلُّ مَنْ لحظَ بعين الحكمة والاعتبار ، ونفذَتْ بصيرته الى مكنونِ الاسرار ، علم حاجةَ البشر كافةً

الى رسالة خاتم النبيين، واكبر منة الله به على العالمين، فقد بعثَ صلى الله عليه وسلم على حين فترةٍ من الرسل، واخافةٍ للسبل، وانتشار من الاهواء، وتفرُّقٍ من الملل، ما بينَ مشبهٍ لله بخلقه، ومُلحد في اسمه، ومشير الى غيرهِ، كفرٌ بَواحٌ (١) وشركٌ صُراح، وفسادٌ عامّ، وانتهابٌ للاموال والارواح، واغتصابٌ للحقوق، وشنٌّ للغارات، ووأدٌ للبنات، وأكلٌ للدماء والميتات، وقطعٌ للارحام، واعلانٌ بالسفاح، وتحريفٌ للكتُب المُنزله، واعتقادٌ لاضاليل المتكَهِّنة، وتأليهٌ للاحبارِ والرهبان، وسيطَرَةٌ من جبابرةِ الجوْر، وزُعماء الفتَن، وقَادَةِ الغرور، ظلماتٌ بعضُها فوق بعض، وطامّاتٌ

---

(١) أى ظاهر مكشوف

طبّقت أكناف الارض ،

استمرّت الأُمم على هذه الحال ، الاجيالَ الطوَال ، حتى دعا داعِي الفلاح ، وأذِنَ الله تعالى بالاصلاح ، فاحدث بعد ذلك أمرا ، وجعل بعدَ عُسْرٍ يُسْرًا ، فان النوائبَ اذا تناهت انتهت ، واذا توالتْ تولّتْ ، وذلك أنّ اللهَ سبحانه وتعالى ارسل الى البشر رسولا ليُعتقهُمْ مِن أسرِ الاوثان ، ويخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التقليد الى نورِ الايمان ، ويُنقِذهُمْ من النار والعار ، ويرفعَ عنهُمْ الآصار ، ويُطهّرَهُمْ من مساوىء الاخلاق والاعمال ، ويرْشِدَهُمْ الى صراط الحق ، قال تعالى « وما أرسلناك الا رحمةً للعالمين » وقال تعالى « يا أهلَ الكتابِ قد جاءكم رسولُنا يبيّن لكم على فترةٍ من الرُسلِ

أَن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكُم بشيرٌ ونَذير والله على كل شيء قدير » وقال جلّ ذكره « لقد مَنّ اللهُ على المؤمنين إذْ بعَثَ فيهم رسولا من أنفُسهم يَتلُو عليهم آياتهِ ويزَكّيهم ويعلمهُمُ الكتابَ والحكمةَ وان كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبين »

(ذكر النهضة النبوية ، للصدع بالاوامر الربانية)

كان أولَ ما صدعَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم قومهُ هو هجرالاوثان لتوحيدِ الرحمن، وطرحُ كلّ ظنٍّ في مخلوق من العُلويّات والسفليات، باعتقاد أنْ ليسَ لمكوَّنٍ أثرٌ بضرٍّ أو نفع ليتَعلّق بفاطِرِ الارض والسموات، في جميع الاعمال والمعاملات،

وتكونَ العبوديةُ لله ، والانفسُ محرَّرةً مِن كل ما سواه . فاخذَ يستجيبُ لدعوته صلى الله عليه وسلم الابرار ، ويستضيُ بنورِه الاخيار ، ويعتصمون بالعُروةِ وُثقَى ، ويتمسكون بالسببِ الاقوى ، فعَظُمَ الخالِقُ تعالى فى أنفسهم ، وصغَرُ مادونه في أعينُهم ، فصبروا على ما أُوذوا ، وصارت لهم قوةٌ فى دين ، وحزمٌ في لين ، وخشوعٌ في عباده ، وتضرع فى إنابه ، وتبتلٌ في ليل ، واستغفارٌ في سَحَر ، وافاضةٌ فى ذكر الله ، ورغبةٌ فى موعودِه ، فخلصتَ من الزيغ عقائدُهم . وصلحَتَ من الفسادِ عوائدُهم . واقامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنة ثم هاجر الى المدينة ، وكانَ بايعه على الايمان

ثلّة (١) من أهليها، وانتشرت دعوته ما بين لابتيها (٢) فقدمها باصدق رفيق، صاحبه في الغار أبي بكر الصديق، فأكبر الانصار منّة مقدمه، واستبشروا بفضل الله ونعمه، ونزل على اخواله من بني النجار، من عِليّة (٣) الانصار، ثم بنى مسجد قباء ومسجده الانور. وصارت له المدينة دارا، وأضحى أهلها لدعوته انصارا. واعتمر منها أربع عُمَر. وحج حجة الوداع. وكان مقامه بها بعد مهاجره عشر سنين، وهو دائب على تبليغ ما أنزل عليه حتى تكامل الدين المتين، ونزل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

---

(١) الثلة بالضم الجماعة (٢) هما حرتان تكتنفانها

(٣) أي شرفائهم جمع عليّ

لكم الاسلامَ دينا » ودخل الناسُ في دين الله أفواجا ، وأشرقتِ الدنيا برسالته ضياءً وابتهاجا ، ثم استأثرَ اللهُ به واختارَ له لقاءه . ورضيَ له ماعنده . وأكرَمَهُ عن الدنيا . ليُنجزَ لهُ ماوعدَهُ في كتابه المبين ، فقبضه اليه كريما ، والحقَهُ بالرفيق الأعلى وهو ابنُ ثلاثٍ وستين ، ثم كانت عنايةُ الله بخلفائه الراشدين ، يُسعِفُهم بالنصرِ العزيزِ والفتح المبين ، حتى سارَتْ دعوتُه سيرَ الشمس في الاقطار ، وبلغَ دينهُ القيّمُ مابلغَ الليلُ والنهار ، واستجابَتْ لدعوتهِ القلوبُ طوعاً وإذعانا . وامتلاتْ بعد زيغِها وكفرِها هدًى وايمانا . فللّه ذلك النورُ الذي لاح في ظلماتِ الوجودِ الانسانيّ فنفذ في أحشائها ، وفرّق أستارَ غياهِبها ، وأرى الأُممَ

مراشدَهم . وأعلامَهم مناهجهم . وتباركَ الذي نَصَرَ عبده . وأعزّ جُندَه . واصطفى هذا الدين لنفسه ، وأقامَ دعائمه على محبته ، وهدَم أركانَ الضلال بركنه ، وجعله دينا قيماً لا انفصامَ لعُروته ، ولا انقطاع لمُدَّته ، فصدق الله وعَده ، وتمت كلمته وحده ،

(ذكر الخارق المعوّل عليه في الاستدلال على النبوة)

(وهي معجزة القرآن)

لما كانت معجزةُ كل رسولٍ موافقةً للاغلب من أحوال عصرِه ، والشائع المنتشر في ناسِ دهرِه ، وكانتِ العربُ أصحَ الناسِ أفهاما ، وأحدَّهم اذهانا ، عُرِفوا بفصاحة المنطِق ونقدِ الكلام ، لما أن لسانهم أفصح لسان ، تحدَّاهمْ صلى الله عليه وسلم بمعجزة

القرآن، فعجزت دونها بُلَغاؤهم، واستكانَ لها فُصَحاؤُهم، واستعظمها عقلاؤهم،

اشتملَ القرآنُ على وجوهٍ من الاعجاز تعجز عنها العقول، فمنها بلاغته الفائقةُ في حسنِ الاسلوبِ على أساليبِ البلاغةِ عند العرب، فلا يدخل في شعر ولا رَجزولا سجعٍ ولا خطابة. ومنها كونه كافلاً بنظامِ الكونِ في العبادات والمعاملات. ومرشداً لسنَنِ المصالح العامة. وداعيا للفضائل ومنها انه حجةُ اللهِ على العالمين بما جاء فيه من التذكير باخبار الامم الماضية التي حادَتْ عن طريق الحق والتوحيد؛ واستَسلمتْ لحكم العادات والتقاليد، ومنها إخبارُه بضمائر القلوب، التي لا يصل اليها الاعلامُ الغيوب، ومنها انه يجذب قارِئه

بسحر بلاغتهِ، ويختَطِفهُ ببهجته، ويأخـذُ بمجامع قلبهِ، فلا تجدُ تاليَهُ يَـكِلّ، ولا سامعه يملّ، ومنها حفظه من التغيير والتبديل. فلا يتغير بتغير الازمنة، ولا يختلِفُ باختلافِ الالسنه، ومنها تَيَسيرُ حفظه على أهل الالسنه، حتى حفظه الاعجميُّ والعربيُّ ولم يُعْهَدْ حفظُ غيره من الكتبِ كحفظه، ومنها بيانه لمناهجَ في طلبِ الحق لم تكن تُعرَفُ قبـله، وبالجملة فحسبُ هـذا الكتابِ الكريم معجزةً انه أعجزَ العربَ عن معارضته، وقد تحدَّاهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بسورةٍ مثله، وناهيك بالعرب الممتازين بوفرةِ رِجال البلاغةِ وفرسانِ الخطاب وتَنَافُسهم بالغلَبِ فى القول وشدة حَمِيَّتِهم، وقوةِ أنفتهم. وهو مع ذلك يُسَفِّـهُ أحـلامهم، ويخطىء

آراءهم، ويحتقرُ معبوداتهم، فأُصيبوا بالعجزِ مع طُولِ زمنِ التحدّي، ولَجَاجهم في التعدّي، وصبروا على نَغَصِ الخيبة. وحقتْ للكتاب العزيز الكلمةُ العليا على كل كلام، وقضى حكمه العليُّ على جميع الاحكام، فاعظِمْ به من معجزة فَنِيَتْ سائرُ معجزاتِ النبيين، وهي مستمرّةٌ الى يوم الدين

ولما لم يَدَعِ القرآنُ مَكْرُمَةً من أصول الفضائل الاجلاّها، ولا أمّا من أمهاتِ الصالحاتِ الا أحياها، ختم تعالى النبواتِ بنبوّةِ خاتم النبيين، وتمتِ الرسالاتُ برسالته الى الناس أجمعين، وقد أظهرَ الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من أعلامِ نبوته بعد ثبوتها بمعجز القرآن، واستغنائه عما سواه من البرهان، مافصّلته كتبُ الحديث

والاسفارُ الكبار، فصلواتُ الله وسلامُه عليه ما تعاقبَ الليل والنهار

﴿ غُرر من الوصايا النبوية، ومحاسن الملة الحنيفية ﴾

كان صلى الله عليه وسلم يأمُر بمحاسن الاخلاق، ويدعو الى مستحسن الآداب، ويحثُّ على دوام ذكر الله وطاعته، وخشيته في السر والعلَنِ ومُراقبتِه، وكان يَحُضُّ على المحافظة على الصلوات، واداء الزكوات، وعلى تقوى الله فى النساء والعدلِ بين الزوجات، وكان يحرِّض على صلة الأرحام، والتعطفِ على الفقراء والايتام، وعلى صدقِ الحديث واداء الامانة، وتركِ الخيانة، وخفضِ الجناحِ ولين الكلام، وينهى عن التباغض والتحاسد، وعن التقاطعِ والتباعُد، وكان يَزجُر عن الفسق

والكِبْر والاقوالِ الكاذبةِ والرِّبا والزنا وشربِ الخمرِ وشهادةِ الزور ، وعن الغيبةِ والنميمةِ والظلمِ والرياءِ والخيانةِ وكل منكر وزُور ، وكان يوصي بقولِ الحقِّ وان كان مُرًّا وان لا يُخَاف فى الله لومةُ لائم ؛ وكان صلى الله عليه وسلم يرَغّبُ فى تلاوة القرآن والتفقهِ فيه وفى المحافظة على سنتهِ وهَدْيه القويم ؛ ومخالطةِ أهل الحكمة والفقه فى الدين ، وكان يأمُرُ باطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاةِ بالليل والناسُ نيام ، ويقول ان ذلك يورث الجنة بسلام ، وكان يأمر بالصدقِ والامانة والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود ، وكان يحث الناس على البكور فى طلب الرزق ، ويستنهض القادرَ على الكسب أنْ يأكُلَ مِنْ كسبِ يمينه ، ويقول

«ما أكل أحد طعاما خيرا مِن أنْ يأكلَ مِنْ كسب يده»، وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بتوفية المكيال والميزان، ويقول «من غشنا فليس منا»، وكان يأمر بالتداوي من الامراض، ويُحَدِّثُ أنّ اللهَ لم يُنْزِل داءً الا أنزل له دواء، وكان يحث الناس على التوكل بعد تعاطي الاسباب، بتفويض النجاح فيما وراءها الى الكريم الوهاب، وكان ينهى عن الشُّحِ ويقول الكنز كِيٌّ من النار، وكان ينهى عن النِّياحة على الميت ويقول انها من عمل الجاهلية، وكان يقول شرُّ المكاسِبِ كسبُ الربا، وشر المآكلِ مال اليتيم، وكان يحث على اعانة الضعفاء وكفِ الظالمِ ونصرِ المظلومِ، وكان ينهى ان تُتَّبَع عورةُ الناسِ أو يُتَجسَّسَ عليهم ويأمر بالستر

ويندب اليه ، وكان يُوصِي رُسُلهُ الى البِلادِ أن يتجافَوْا فى التعليم مسالكَ الحرَج والتعسير ، وان ينهجوا منهجَ اليسر والتيسير ، ويقول لهم « يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبشّروا ولا تنفّروا ، فانما بُعِثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »

(نخب من الشمائل النبويه)

كان صلى الله عليه وسلم رَبعةً من القوم ، ليسَ بالطويل ولا بالقصير ، ضخمَ الرأسِ واللحية شَثْنَ الكفين والقدمين، أبيض مشرَّباً حمرة، بين كتفيه خاتَمُ النبوة، أجودَ الناسِ صدرا، وأصدقهم لَهْجَةً وألينهم عريكة وأكرمهم عشرةً ، مَنْ رآه بديهةً هابه ، ومن خالطهُ معرفةً أحبَّهُ ، وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناسِ وأعدلهم وأشجعهم

وأسخاهم لا يأخذ مما آتاه اللهُ الاقوتَ عامه ويَضَعُ سائرَ ذلك فى سبيل الله ، ولا يُسئَلُ شيأً الاأعطاه ، وكان صلى الله عليه وسلم يَخصِفَ نعله(١) ويَخيطُ ثوبَه ، ويحلبَ شاته ؛ ويخدم نفسه ويعمل في مِهنة (٢) أهله ، وكان أشد النا سِ حياءً لا يُثبِتُ بصره فى وجه أحد ، ويجيبُ دعوةَ الحرّ والعبد ، ويقبل الهدية ولو انها جُرعَةُ لبن ، ويأكلها ويكافِيء عليها ولا يأكلُ الصَّدقةَ ، يغضَبُ لربه ، ولا يغضَبُ لنفسه ، يلبس ماوجَد ويأكل ماحضر ، يَزُور أصحابَه ويخرج الى حدائقهم ، ويعودُ مرضاهم ويشهدُ جنائزَهم ، اذا ذكروا الدنيا ذكرَها معهم

---

(١) أى يخرزها بالمخصف وهو المخرز

(٢) بفتح الميم وكسرها أى خدمتهم

واذا ذكروا الآخرةَ ذكرها معهم، يضحك مما يضحكون منه، وكان أشدَّ الناسِ تواضعا، وأسكنهم في غير كِبْر، تُرْفَعُ عنده الاصوات من الجُفاة فيصبر ويغفرُ، وكان يتكلمُ بجوامع الكَلِم، كلامُه فَصلٌ يحفظُه من جلس اليه، وكان دائمَ البِشْرِ سهلَ الخُلُقِ يركبُ الحِمار ويُرْدف خلفَه، وكان يمشي في الاسواق، ويمتزج بالجُلَساء والاصحاب لم يتعاظم بأُهبه، ولم يتطاوَل بسطوه، وكان يحب الطِّيبَ ويَحُضُّ عليه، ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين، ويُكرم كريمَ كل قوم، ويتألفُ أهلَ الشرفِ ويصل رحمه، ولا يواجِهُ أحدا بما يكره، ويقبَلُ معذرةَ المعتذر اليه، وكان يمزَحُ ولا يقول الاحقا، وقد أتِيَ صلى الله عليه وسلم يوما زاهرا

الاشجعيَّ وهو يبيعُ متاعه ، وكان يحبه . فاحتضنه صلى الله عليه وسلم مِنْ خلفه وهو لا يُبْصِرُ ، فلمَّا عرفَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم صار يُلْصِقُ ظهرَه بصدر النبيّ صلى الله عليه وسلم . وجعلَ رسولُ اللهِ يقول « مَنْ يشتري هذا العبدَ » فقال يارسول الله اذاً والله تجدُني كاسداً فقال رسولُ الله: لكن عندَ الله لستَ بكاسِد . وكان صلى الله عليه وسلم خيرَ الناسِ لاهله وألطفهم لهنَّ ، وكان صلى الله عليه وسلم احفظَ الناسِ للعهد ، وأوفاهم بالوعد . ما نقض لمحافظٍ عهداً ، ولا أخلفَ لمراقبٍ وعداً ، ولم يَضْرِبْ خادماً له ولا امرأة ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب من الذبيحةِ ذراعَها ، ومن اللباسِ أبيضَه ، يَكْحُلُ عند النوم عينيه ، ويرَجِّل شعرَه ويَدْهُنُهُ غبّاً وربما

استدان في حوائجه ورَهن في مقابلة الدين وقد عرضت عليه الدنيافأباهاوطوى عنها كشحاً ولَمْ يتخذ منها رِيَاشا وقدأمر باماطة ستار في بيته وخلع ثوباًمعلَما لئلا يُذَكّراه بالدنيا وزخَارفها فاعرض عنها بقلبه، وامات ذكرَها عن نفسه، واحب ان تغيب زينتها عن عينه، وكان يصلي بالليل وينام ، ويصوم ويفطر ، جلُّ ضحكه التبسم، يبدأُ مَنْ لَقِيَ بالسلام اذا لقِيَ الرجلَ فكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف . واذا لَقِيَ أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة، وما صافحه أحدٌ فارسل يدَه حتى يُرْسِلها الآخذ . وكان صلى الله عليه وسلم لايجلس اليه أحد وهو يصلي الاخفَّفَ صلاته واقبل عليه فقال أَلَكَ حاجة وكان يعطي كُلَّ جلسائه نصيبَه من

وجهه ، لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرمُ عليه منه ، يدعو أصحابه بكُناهم إكراماً لهم ويكني من لم تكن له كنية ، وكان يسلم على الصبيان في الطريق ، ولا يأنفُ ان يمشيَ مع الارملة أو المسكينِ حتى يقضيَ لهما حاجتهما ، وكان يتغافل عما لا يشتهي ، لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أوفيما لا بدَّ منه لنفسه ، وبالجملة فكان أرأفَ الناس بالناسِ ، وخيرَ الناس للناس ، وأنفعَ الناسِ للناس ، قد جمع الله له السيرة الفاضلة ، والمحاسنَ الكامله ، وحقيقٌ لمن بلغ من الفضائل غايتها ، واستكمل من أحاسن المحاسنِ نهايتها ، ان يكون للقيام بمصالح الخلق موكلا ، ولمقامِ الرسالة العامة مؤهَّلا ، فالحمد لله الذي هدانا الى التصديق برسالته ، ونسأله تعالى

ان يوفقنا لاقتفاء سنته،

﴿خاتمة فى فوائد الاولى في أصل قصة المولد ونقد آثارها﴾

لا يخفى ان قصة مولده صلى الله عليه وسلم هي شعبة من أحاديث سيرته الزكية، ولما وجد فى كثير من المواليد المتداولة الآثار الواهية مما لم يخرّج فى الجوامع الصحيحة، ولا المسانيد الرجيحة، لزم نقد المأثور منها بمراجعة أمهات الحديث المضبوطة بالاسانيد فان الوقوف على أسانيد الآثار من المهمات عند المحدثين اذ بالسند يتفاوت الاثر قبولا وتركا واتصالا وانقطاعا والقصد حفظ الآثار المقبولة وتمييزها من الدخيل فيها، وقد انتقينا لباب اللباب، واقتصرنا فى العزو في بعضها خشية ان يطول الكتاب، واذا عرف المشرب ضمنت الثقة وبالله التوفيق

﴿الثانية في التحذير من البدع في مجامع تلاوة هذه القصة﴾

قدمنا ان سيرة المولد وما يتبعها هي من المرويات المأثورة فيلزم ان تتلى بالآداب المقررة في أمثالها من الجلوس في وقار وهيبة والإصغاء للمرويّ وتفهم معاني الآثار وتجديد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر والاداء الحسن بلا تكلف ولا تمطيط كرواية كتب الحديث وقد شدد النكير الامام ابن الحاج في المدخل على ما حدث في مجامع قراءة المولد من المنكرات وأطال بما لا يتسع المقام لنقل ماسطره من المحاذير وكذلك نحا نحوه شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي رحمه الله في فتواه الشهيرة في ذلك منها قوله : فاما الاجتماع في عمل المولد على غناء

ورقص ونحو ذلك واتخاذه عبادة فلا يرتاب أحد من أهل العلم والايمان ان هذا من المنكرات التي ينهى عنها ولا يستحب ذلك الا جاهل أوزنديق وأما الاجتماع على قراءة وذكر فضائل النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من فعله قصداً لتعظيمه ومحبته فانه يثاب على قصده الحسن ونيته لفعل الخير: انتهى

وقال الزرقاني عمل المولد بدعة لكنه اشتمل على محاسن وضدها فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها كانت بدعة حسنة ومن لا فلا انتهى

(الثالثة فى القيام عند ذكر الولادة)

ماجرت به العادة من القيام لولادته صلى الله عليه وسلم الظاهر أن أصله ماحكاه البرهان الحلبيّ فى السيرة عن التقي السبكي انه كان عنده مجمع من

الافاضل فانشدهم منشد قول الصرصري فى مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب
على ورِق من خط أحسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه
قياما صفوفا أو جُثِيًّا على الركب

قال فعند ذلك قام السبكي وجميع من فى المجلس وحصل انس كبير وتابعه على ذلك مشايخ عصره انتهى قال الشهاب ابن حجر في فتاواه الحديثية ماينعله كثير عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ووضع امه له من القيام بدعة لم يرد فيها شيء قال على أن الناس انما يفعلون ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم فالعوام معذورون بذلك بخلاف الخواص فلا ينبغي لهم فعله انتهى كلامه بحروفه

(الرابعة فيمن أحدث المجتمع للمولد)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقال أول من فعل الاجتماع فى شهر ربيع الاول على عمل الموالد مظفر الدين صاحب أربل وفعله أيضا بعض أهل سبتة بالمغرب قريبا من زمنه فهذان أقدم من بلغنا انهم فعلوه انتهى وقال بعض المحققين الذي يؤخذ من كتب التاريخ ان الفاطميين هم أول المحتفلين به فقد ذكر العلامه المحقق تقى الدين المقريزي فى خططه ان الخلفاء الفاطميين كانت لهم أيام ومواسم يتخذونها فى طول السنة تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم منها المواليد الستة وهي مولد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ومولد علي بن أبى طالب ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أجمعين، ومولد

الخليفة الحاضر . والدولة الفاطمية أقدم من دولة المظفر
كما هو معلوم والظاهر ان الموالد أهمل شأنها عقب
زوال الدولة الفاطمية فجدد المظفر عمل المولد النبوي
باربل ثم أخذت الناس في كل صقع في تجديد ما اندرس
من ذلك واحداث مالم يكن حتى عم أمرها والذي حمل
البعض على القول بان المظفر أول محدث للمولد كثرة
ما كان يأتيه فيه من أنواع البر والاكرام للفقراء
والصوفية وغيرهم من صنوف الوافدين على حضرته
زمن المولد واعتناؤه اعتناء لم يسبق اليه حتى اشتهر به
وذاع صيته فى الآفاق وقصده الناس من كل حدب
وقد أطال ابن خلكان فى وصف ما كان يعمل فى
ذلك فلا حاجة لذكره فظهر مما تقدم ان الدولة
الفاطمية أول من أحدث ذلك واحتفل به والمظفر

أول من أعلى شأنه واهتم به حتى نوه الناس بذكره وقلده فيه غيره من الامراء انتهى قلت مظفر الدين اسمه كوكبورى ترجمه ابن خلكان في تاريخه ونوه باحتفاله بالمولد بغرائب اخترعها فلينظر وكانت وفاة المظفر المذكور سنة (٦٣٠) وولادته سنة (٥٤٠) واليه نسب عندنا فى دمشق الجامع المظفري المعروف الآن بجامع الحنابلة فى الصالحية فان لما بلغه ان الحنابلة شرعوا فى عمارة جامع لهم سير لهم ثلاثة آلاف دينار لتتميم عمارته هذا ونسأله تعالى ان يجعلنا هادين مهديين ويسلك بنا سبيل عباده الصالحين والحمد لله رب العالمين

وقد اتفق تمام تبييضه فى منتصف شوال نهار الاحد في الجامع الازهر فى الرواق العباسي أيام رحلتي لمصر القاهرة عام (١٣٢١)
